المبحث الثاني: الغزل في شعر صلاح أحمد إبراهيم

ماهية كلمة غزل في اللغة والاصطلاح:

في كتاب اللغة: أة القُطْنَ وغيرها تَغْزِلُهُ غَزْلاً، كذلك اغتزَلَتْهُ، وهي تَغْزِلُ بالْمَغْزَلِ، لٌ ونسوةٌ غُزَّلٌ، قال جَنْدَلُ بن المُثنى الحارثي:

كأنهُ بالصحْصَحانِ الأنْجَلِ قُطْنٌ سُخامٌ بأيادي غُزَّلِ

على أن الغُزَّلَ يكُونُ هنا الرجال؛ لأن فُعَّلاً من المُذكر أكْثَرُ مِنْهُ في جمع فاعِلَه، والْغَزْلُ: أيضاً المَغْزُولُ.[1]

لُ: ما تغْزله مُنَكَّرٌ، والجمع غُزُولٌ، قال ابن سيدة: وسمى سيبويه ما تَنْسِجُهُ العَنْكَبُوت غَزْلاً فقال في قول العجاج:

كأن نَسْجَ العَنْكَبُوتِ الْمُرْمَلِ

لْغَزْلُ مذكرٌ والعَنْكَبُوتُ أُنثى.

به المرأةُ الْمِغْزَلُ والمُغْزَلُ والمَغْزَلُ، تميمٌ تكسرُ المِيم، وقيسٌ تضمُّها، والأخيرةُ لُ الضَمُّ، وإنما هُوَ مِنْ أغْزِلَ، أي أُدير وفُتِلَ.

تَثْقَلَت العَرَبُ الضمةَ في حُرُوفٍ وكَسَرتْ مِيمَها وأصْلُها الضمْ مِنْ ذلك خْدعٌ ومِسْجَدٌ ومِطْرَفٌ ومِغْزَلٌ، لأنها في المَعنى أُخِذَتْ من أُصْحِفَ أي جمعت فيه حُفُ، وكذلك المُغْزَل إنما هو من أُغْزِلَ أي فُتِلَ وأُديرَ فهو مُغْزَلٌ، قال ابن الأثيرِ: هو بالكَسْرِ ح، موضِعُ الْغَزْلِ، وبالضَمِ ما يُجْعَلُ فيه الْغزْلُ.

مُغزل: حَبْلٌ دَقِيقٌ؛ قال: أُراه شُبِّهَ بالْمغْزَلِ لِدِقتِهِ.[2]

---

[1] ابن منظور _ لسان العرب _(مادة غزل)

[2] نفسه

والْغَزَلُ: حديث الفِتْيانِ والْفَتَياتِ. ابن سيده: الغَزَلُ اللهوُ مع النساءِ وكذلك المُغازَلَةُ؛ قال:

يقُول لي العَبرى المصاب حَليلُها أيا مالِكٌ هل في الظعائِنِ مَغْزَلُ ؟

ومُغازَلَتُهُنّ: محادثتهنّ ومراودتهُنّ، وقد غازَلَها، والتغزلُ: التكلّف لذلك وأنشد:

صدُّ الغواني ... جافٍ عن التغزلِ

تقولُ: غازَلْتُها وغازَلَتْني، وتغزَّلَ أي تكلّف الغَزَلَ، وقد غَزِلَ غَزَلاً، وقد تَغَزَّلَ بِها وغازَلَها وغازَلَتْهُ مُغازَلَةً.

ورجلٌ غَزِلٌ: مُتغزّلٌ بالنساء على النَّسَبِ، أي ذو غَزَلٍ. وفي المَثَلِ: هو أغْزَلُ من الحُمّى، أنها مُعْتادةٌ لِلعَليلِ مُتَكَرِّرةٌ، فكأنها عاشِقةٌ له مُتغزّلةٌ به. وغَزِلٌ: ضعيف عَنِ الأشياءِ فاتِرٌ [1]

معنى كلمة غزل في الاصطلاح:

الغزل معناه التحدث إلى النساء والتودد إليهن؛ وذلك يتطلب من الرجل أن يتحدث إلى المرأة حديثاً مؤثراً جذاباً حتى يستميلها إلى وده، يستهويها إلى حبه.[2]

واللغويون لايفرقون بين (الغزل) و(التشبيب)، و(النسيب) .[3]بينما يفرق بينهما قدامة فيقول أن "النسيب بأنه: ذكر مشاعر النساء وأخلاقهن، وتصرف أحوال الهوى به معهن".[4]، وللغزل معنى يقرب من معنى الحب[5]،" أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقد

---

[1]ابن منظور _ لسان العرب _(مادة غزل)

[2]الشمري_حافظ محمد عباس (دكتور) م .م عبده علي عبيد الشمري _ دراسة بعنوان : اتجاهات الغزل العذري وسماته الفنية في العصر الأموي ،ص2

[3]عزام ، محمد _ المصطلح النقدي في التراث العربي _ دار الشرق العربي _ بيروت،لبنان _ بط_ بت ص253

[4]أبو الفرج _ قدامة بن جعفر _ نقد الشعر _ تحقيق ، محمد عبدالمنعم خفاجي _ دار الكتب العلمية _ بط ص 134.

[5]عزام ، محمد _ المصطلح النقدي _ ص253.

الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله. والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء ،أما النسيب فهو ذكر خلق النساء وأخلاقهن، وتصرف أحوال الهوى به معهن". (1)

وتبع ابن رشيق (456 هـ) قدامة في التفرقة بين (النسيب) و (الغزل) و خالفه في تحديد معنى الغزل[2] فقال هو" إلف النساء والتخلق بما يوافقهن"[3] ومن شروط النسيب عنده " أن يكون حلو الألفاظ سهلها قريب المعاني، غير كز ولا غامض، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، لين الإيثار، رطب المكسر، شفاف الجوهر، يطرب الحزين ويستخف الرصين". (4)

مماسبق يتضح لنا اتفاق أهل اللغة في تعريف كلمة غزل في الاصطلاح، الذي يمكن إجماله في أنه التقرب إلى النساء وطلب المودة منهن؛ وذلك بذكر محاسنهن، وقد اعتمدوا هذه وسيلة؛ لنيل رضاهن والفوز بقلوبهن.

غزل صلاح أحمد إبراهيم

صلاح أحمد إبراهيمشاعر ذو تجربة في الغزل، وإن كان جل الشعراء قد تغزل، وصلاح أحمد إبراهيم مثل غيره من الشعراء العرب في عصره تقلب بين مذهبين هما الواقعية والرومانسية، وقد رأينا شعره السياسي يتوشح بالواقعية، بينما ينحاز الى المذهب الرومانسي كثيراً في غزله.

أمريّة

---

(1) قدامة بن جعفر _ نقد الشعر_ص 134

(2) عزام ، محمد _ المصطلح النقدي في التراث العربي _ ص254

(3) ابن رشيق _ أبي الحسن _ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده _ حققه محمد محي الدين عبد الحميد _دار الجيل _ بيروت ، لبنان _ ط 1981م5، ج2 ، ص 117

(4) ابن رشيق _ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده _ ص116

صلاح شاعر مرهف الحس شديد الوجد إن دخل في تجربة عاطفية، تتفجر جوانحه رقة، يتضح هذا في كل أشعاره الغزلية، ونستدل عليه بقصيدته (يامريَّة) التي نظمها متغزلاً بفتاة يونانية

مكثراً من أسلوب النداء يقول:

يا مَرِيَّة:

ليت لي إزْميل (فدْياسَ) وروحاً عبقرية

وأمامي تلّةٌ مَرْمَرْ

لنحتُّ الفتنةَ الهوجاءَ في نَفْسِ مقاييسِك

تِمْثالاً مُكَبَّرْ

وجعلت الشَّعْرَ كالشَّلاَّل: بعضٌ يلزم الكتفَ

وبعضٌ يَتَبَعْثَرْ

وعلى الأهدابِ لَيلاً يتعثَّرْ

وعلى الأجفانِ لُغزاً لا يفسَّرْ

وعلى الخدين نُوراً يتكسَّر

وعلي الأسنان سُكّرْ

وفَماً _ كالأسدِ الجَوْعان _ زَمْجَرْ

يرسلُ الهمسَ به لحناً معطَّرْ

وينادي شَفةً عطشى وأخرى تَتَحسَّرْ

وعلى الصَّدْرِ نَوافيرَ جَحيمٍ تتفجَّرْ

وحِزاماً في مَضيقٍ، كلما قُلت قُصيرٌ

كان الخصرُ أصغرْ (1)

---

(1) إبراهيم _ صلاح أحمد_غابة الأبنوس(ديوان شعر)_أبنوس للنشر_الخرطوم، السودان_ط4_2013م_ ص47

افتتح القصيدة بالنداء "يامرية" متوهماً أنها أمامه، يخبرها بما يتمناه (ليت لي...) فهو يتمني أن يكون له إزميل " فدياس" ذلك النحات الحاذق وأن يكون أمامه تلٌ من المرمر حتى يتمكن من أن ينحت جمالها كما خُلقت ولكن بمقياس أكبر، وان تكون روحه عبقرية ذات ملكات فنية عالية قادرة على نحت هذا الجمال، ولما كان فن النحت عند الإغريق يمارس على هذا النوع من الحجارة، اختار أن يماثلهم لأن فتاته كانت إغريقية، لذا اختار هذا النوع من الحجارة ليخلد جمالها، ثم ينتقل بنا إلى صورة ذلك التمثال المنحوت الذي يتمنى نحته، فيصفه كما أراد له أن يكون، فهو يبدأ من الأعلى، من الرأس الذي أفتتن بشعره فيصوره كما عشقه مثل مياه الشلال تتدفع بلا نظام من الأعلى إلى الأسفل فيتهدل على الكتف – والبعض الآخر يتبعثر وينتشر مبعثراً على جيدها ونحرها ووجهها، ثم يتحول إلى نحت عينيها فيجعل رموشها شديدة السواد كما الليل الحالك الطويل، وأي ليل يقصد الشاعر؟ ولخلق الاثارة والتشويق يفترض شيئاً غير مرئي على أجفانها (سر) وكأنه يريد أن يقول أن في عينيها ونظراتها شيء يحير الناظر إليها وأن خدودها ذات نعومة ورقة وضياء، وأسنانها البيضاء الرقيقة كأنها حبات سكر، وأن كلامها فيه حلاوة السكر، وفماً يشبه فم الأسد عند زئيره يرسل الكلام همساً كما الألحان يفوح منها شذى العطر، وبصدرها فتنة كأنها نوافير الجحيم في صورة انتصاب صدرها وما به من مفاتن تستدعي عين الناظر إليها وأن لها خصراً نحيفاً شديد الدقة فكلما تخيلت دقته كان أكثر دقة من ذلك، لقد تمكن الشاعر أن يرسم محبوبته كما يريدها هو مستخدماً في ذلك التشبيه حتى يجسد لنا صورة الفتاة التي أرادها ان تكون حسب مقاييسه التي يريدها، وقد أعتمد على الأسلوب الغنائي في الأسطر السابقة، ثم ينتقل الشاعر بعد نحت منحوتته المتخيلة لفتاته، ليبين مآلات حاله بعد رؤيته

هذا الجمال الفاتن فيقول:

يامَ رِيَّه:

ليت لي إزميلَ (فدياسَ) وروحاً عبقريَّة

كنتُ أبدَعْتُكِ ياربَّة حُسْني بيدَيَّ [1]

وهنا يثبت الشاعر أن المادة لاتكفي لصبغ الجمال المثير، فمع إزميل فدياس يحتاج المبدع للروح العبقري...وهنا_ برغم أيدلوجية الشاعر إذ ذاك_ نرى الإيمان بما فوق المادة تتضح به أفكاره، إذ تمكنه الروح العبقرية من إبداع ربة حسنه. ثم يقول:

يامَ رِيَّه:

ليتني في قمَّة (الأولمبِ) جالسْ

وحواليَّ العرائسْ

وأنا في ذُرْوَة الإلهام بين المُلْهماتْ

أحتسي خمرةَ (باخُوسٍ) النقيَّة

فإذا ماسَرَتْ النشوةُ فيَّ

أتداعَى، وأنادي: يابناتْ

نَقِّروا القيثارَ في رِفْقٍ وهاتوا الأُغْنياتْ

لَمرِيَّهْ [2]

في الأسطر أعلاه تمني الشاعر أن يعتلي قمة الأولمب وهو جبل – الآلهة عند الإغريق، وتمنى أن يحدث ذلك وهو محاط بالحسان يحتسي خمرة إله الخمر(باخوس) وعند انتشائه يتمايل ويهتف بمن حوله من أن أعزفن أرق الألحان وغنين لأجل مرية التي أسرته بجمالها، ونلحظ في هذا النص استفادة الشاعر من الثقافة الاغريقية في الألفاظ والمعاني، مثل: فدياس،

---

[1] غابة الابنوس ص 48

[2] غابة الابنوس _ ص 48

والإزميل، والأولمب، وباخوس والخمر ألفاظاً ، أما المعاني التي جمعت هذه الألفاظ فهي الإشارة إلى فن النحت الجميل في تمثال فينوس التي يرى الشاعر أن مرية مثلها، فجمال فينوس أوجد منحوتتها الخالدة وكذلك جمال مرية إن وجد مبدعا، والأولمب جبل الخيال والإلهام والآلهة الإغريقية وفيه يتأتى ما لايتأتى في غيره، وباخوس أله الخمر والغناء والخصب يحتفي به اليونان مرتين كل عام مرة في موسم الجدب ومرة في موسم عصر الخمر، نتج عنها أبرز منجزات الثقافة اليونانية: الملهاة، والمأساة، وقد ارتبطت أمنية الشاعر بموسم جني العنب، حتى يصبغ القصيدة بلونية المكان ويعطيها بعداً جمالياً ، خاصة لأن الفتاة إغريقية فاستخدم تراثها معبر به عن نفسه وتجربته.

وفي المقطع التالي يعود إلى مرية فيصفها كما رآها،ويذكر سنها قائلاً :

يامَرِيَّه:

ما لعشرينين باتَتْ في سَعيرٍ تتقلَّبْ

ترتدي ثَوبَ عُزوفٍ وهي في الخفْيَةِ ترغب

وَبِصدَدرَيْنا "بروميشوس" في الصدَّخرة مشْدوداً يُعذَّبْ

فبجسمٍ ألفُ نارٍ وبجسمٍ ألفُ عَقْرَبْ

أنت ياهيلين:

يامَنْ عَبرَتْ دِلقاءَها بحرَ عُرُوقي ألفُ مركَبْ

ياعيوناً كالينابيعِ صفاءْ ..... ونداوة

وشفاهاً كالعناقيدِ إمتلاء ..... وحلاوة

وخدوداً مثل أحلامي ضياءْ ... وجمالاً

وقواماً يتثّني كبرياء .... واخْتيالاً

ودماً ضجَّتْ به كلُّ الشرايينِ اشتهاء يا صبيَّة

تصدْ طَلي منه صباحاً ومساءْ غجريَّة [1]

بدأ الشاعر بذكر عمرها الذي لم يتجاوز حدود العشرينين ولكنها أصبحت كاملة المفاتن، وهذه الأنوثه الطاغية تشقي هذه الفتاة التي احتشدت المفاتن بجسمها، وهي تغطي كل هذا الجمال بثوب يسترها كثوب الزاهد ولكن تأبى مفاتنها إلا أن تظهر من خلال هذا الثوب، وكأنها تريد الوصل ولكنها لا تبح به، وقلوبنا معذبة بسبب هذه المشاعر التي في قلبينا ولا يمكننا الإفصاح عنها، ولا ينفك الشاعر يأتي لنا بشي من الثقافة الاغريقية، فهو عندما يذكر حالة عذابهما يشبهها بحالة ذلك الفارس "بروميثوس" الذي عذب بشده علي الصخرة، ثم يستهل مقطعاً آخر بأسلوب النداء فقال: أنت يا هيلين" وهي فتاة إغرقية أيضاً وهي كانت سبباً في حرب طروادة التي أتاها الإغريق بحوالي ألف مركب من أجل هيلين، فالشاعر هنا يريد أن يشبه حالة " مريه" بجيش الإغريق وهو يزحف إلى طروادة من أجل تلك الفتاة –هيلين-، ثم يتغزل غزلاً حسياً في عينيها وشفتيها وخديها وقوامها وتثنيها في مشيتها مع كبرياء وثقة بالنفس مع عدم إغفال لما هي عليه من الحسن الشبيه بحسن امرأة غجرية وقدحشد الشاعر كثيراً من التشبيهات حتى يصل إلى تجسيد صورتها بصفاتها التي شغلت فكره "فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقص، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه"[2]، ونلحظ اعتناء الشاعر بالمفردات التي وصف بها مرية، ثم دلف العاشق المفتون ليعرّ ِف بنفسه وكأنها تسائله فيرد عليها:

يامَر ِيَّه:

أنا منِ ْ أفريقيِا صحرائهُا الكُبرى وخط الاستواء
شحَنتني بالحراراتِالشدّ ِموس

---

[1]غابة الابنوس- ص 49

[2] ابن طباطبا_ محمد أحمد_ عيار الشعر_ تحقيق: عباس عبد الساتر_ دار الكتب العلمية_ بيروت ، لبنان_ ط2_2005م_ص10

وشوتني كالقرابين ْ على نارِ المجوسِ
لفحتني فأنا منها كَعودِ الأبنوسِ
وأنا منجم ُكبريتٍ سريعٍ ُ الاشتعال
يتلظَّي كلما اشتمَّ على بعدٍ "تعال" [1]

في هذا المقطع عرض الشاعر هويته لمريه وبأن طبيعة بلاده ذات المناخ الاستوائي الحار قد أثر في لون بشرته الذي أحرقته الحرارة حتى صار مثل القرابين التي يقدمها المجوس للنار، وبحكم طبيعتي أعبُّ من الملذات ما وجدت سانحة لذلك، ثم يؤكد رغبته في ديمومة علاقة معها لحاجته إليها:

يامَريَّه:

أنا من إفريقيا جوعان كالطفل الصغير
وأنا أهفو إلى تفاحةٍ حمراء من يقربها يصبحُ مُذنِب
فهلمي ودعي الألهةَ الحمقاء تغضب
وأنبئيها أنَّها لم تحترم رغبةَ نفسٍ بشريةْ
أي فردوسٍ بغير الحِب كالصحراء مجُدْبِ [2]

قال صلاح أنه في حبه يتلهف مثل الطفل الجائع، وهو من شدة هيامه بها واشتياقه لوصلها، يرفض كل الحواجز التي تحول بينهما أياً كانت، فهو في دخيلته متمرد ويدعوها لتؤازره في تمرده هلمي لنكسر هذه الحواجز فعلاقتي بك إنسانية، والحب ضرورة في الحياة وبدونه تصبح الحياة كالصحراء القاحلة، لقد لجأ الشاعر إلى استخدام الرمز في المقطع السابق حتي يكسب النص بعداً جمالياً دون أن يحدث اضراراً ببنية النص. وفي نهاية قصيدته الغزلية يكرر رغبته في الوصل قبل أن يفرقهما الزمان قائلاً:

---

[1] غابه الابنوس- ص 49، 50
[2] غابه الابنوس - ص 50

يام َر ِيَّه:

وغداً تَفَخُ في أشوِّقيَ أنفاس ُ فرُقةْ
وأنا ازداد ُنأياً مثل " يوليس" وفي الأعماقِجِ ُرقةْ
ر ُبما لا نلتقي ثِ انية
يا... مريَّة[1]
فتعالي وقعي اسمك بالنار ِهنا في شفتيَّ
ووداعاً يامرية[2]

أشار الشاعر في الأبيات إلى اقتراب ساعة الفراق عن مريه ولكن في قلبه حسرة ، في أنه لم يتمكن من أن يصل إلى مبتغاه فاكتفى بتوقيع يذكره بهابعد الفراق.

لقد قدم الشاعر في قصيدته القصيدة صورة تجسيدية للفتاة بأسلوب سلس مليء بالتصوير الفني والتشبيهات التي أعطت لوحته شكلاً مميزاً ، وبث فيها كل مشاعره وعواطفه؛ مما جعلنا نلتمس ذاك العاشق الولهان الذي هام بتلك الفتاة الإغريقية؛ فشعره هنا "يعبر عن واقع تجربة فنية وليس مجرد أحلام تضيء في خيال الشاعر"[3] والتجربة في هذه القصيدة حقيقية استفذت مشاعر الشاعر فكانت معبرة صادقة وقد استخدم فيها الرمز وتمكن من توظيفه ليخدم غرضه الشعري، كما نرى تنوع القوافي غير المتكلفة، مما أعطت جرساً موسيقياً أعطى القصيدة بعداً إيقاعياً جميل كما استعان بالأساطير الإغريقية، ليست من باب الترصيع بل ليعطي النص لونية خاصة تسهم في وحدته شأن الرومانسيين "الذين خلت قصائدهم من تعدد الأغراض"[4]،كما أن استخدامه للأسطورة في قصيدته هو عين ما يفعله شعراء الحداثة الذين يستخدمون الأسطورة عند محاولتهم " التخلص من رتابة العموديين ومن افتعالاتهم اللفظية، وحاولوا أن ينأوا

---

(1)نفسه _ ص50

(2)نفسه _ ص50

(3)هدارة _تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان " مرجع سابق ، ص 434

(4)هدارة _تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان " _ ص196

بأنفسهم عن كل مافيه سهولة وابتذال ولهذا كانت الأسطورة الدجاجة التي تضع البيضة الذهبية كل يوم"[1]، وقد قدم الشاعر صورة فنية جميلة.

ب. قصيدة هدية حب وامتنان

وغير مريه للشاعر تجارب أخرى أعطاها أبعاداً اختلفت بحسب الظروف التي اكتنفت كل واحدة منها فمثلاً قصيدته: "هدية حب وامتنان" يبدأها بقوله:

ومضيت لأصنع يا أختُ هديَّة
لك يا ذاتَ عيونٍ تومض بالإنسانيَّة
وتمدُّ على قلبي دفْئاً وحَنانْ
فجمعْتُ الصَّندلَ أكواماً ورَشَشْتُ عليه الزيتَ ،
وأشْعلْتُ العيدانْ
ونَفَخْتُ حتى أمتلأتْ رئتايَ دُخانْ
وتَلظَي لهب، لهبٌ ، لهبْ
وأذبْتُ كُنوزاً من فضَّة، وذهبْ [2]

فنراه يحاول صنع هدية لمحبوبته تعبيراً لها عن امتنانه، فجمع كل النفائس الصندل والفضة والذهب آملاً أن يقدم لها هدية حب تعبر عن صدق مشاعره، ثم يمضي قائلاً:

ونقَشْتُ التعويزات السّحريَّة
وطَلاسِمَ منْ عهدِ (سُليْمانْ)
وحفرْتُ عليها حرفَيْن جميلَيْنِ وتحتَهُما حَرْفانْ

---

[1] زكي _ أحمد كمال (دكتور) _ الأساطير _ مكتبة الشباب _ القاهرة، مصر _ط1 _1975 ، ص226

[2] غابة الابنوس ، ص53، 54

من اسمك من اسمي
ومضيْتُ أثبّتُ فيها اللؤلؤ -أغلى اللؤلؤ- والمرجانْ
ووضعْتُ عليها في حرصٍ عنقودَ عنبْ
-قلبي-[1]
أغلّى مايهبُ الإنسانْ [2]

ولما لم يجد ذلك استعان بالطلاسم والتعويذات حفاظاً على وده لها وضمن هذه الطلاسم حروف اسمها حتي لا يفترقا، وقد رصعها باللؤلؤ والمرجان وهنا استفاد الشاعر من تصوير القرآن الكريم في سورة الرحمن في قوله تعالي: "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان"[3] ثم وضع قلبه الذي رمز له بعنقود العنب. وصرّح بأنه أغلى ما يُهدى، معللاً ذلك بقوله:

عنقودٌ ينضحُ بالعطفِ وبالحبِّ وبالإنسانيّة
لم ينتجْهُ كرمٌ في الأرضِ ولا بستانْ
أو يقطفْ شيئاً يحكيه إنسٌ أوْ جانْ [4]

قال أن قلبه يفيض إنسانية ويتصف بصفات لا توجد في غيره من العناقيد فهو لم تنتجه بساتين الأرض أو شجرة عنب، أي أنه قلب من نوع خاص يحمل حباً من نوع لم تعرفه الإنسانية بعد، ويستمر في النص مصوراً مشاهد أخرى تبين استعداد الشاعر وذهابه بهديته إليها فيقول:

صببْتُ الماءَ على جسمي..
صففْتُ الشعرَ، نثرت العِطر، وضمَّخْتُ الأرْدانْ
ميوْتِ على كَتفي شالي الأحمرْ

[1] نفسه - ص54 ، 55
[2] غابة الابنوس - ص55
[3] سورة الرحمن الاية(22).
[4] غابة الأبنوس- ص55

ومشيتُ إليك أكادُ أطيرُ بأجنحةٍ فأنا فرحانْ [1]

في هذا المقطع نتلمس شوق الشاعر لملاقاة المحبوبة التي أهداها قلبه فهو في عجلة من أمره، يخشى ضياع الوقت، صب الماء ونثر العطر وتزيا بأفضل ما عنده فوضع الشال الأحمر رمزاً للحب والعشق، وأسرع صوب دارها ولما وصل وقف أمام الباب منتظراً وقد تأهب لطرق الباب:

وأمامَ البابِ تهيَّبْتُ
فتذكَّرْتُ الوجهَ الأسمرْ
والرِّقَّةُ في الوجهِ الأسمرْ
والبَسْمة في الوجه الأسمرْ
في ذاكَ اليوم بتلكَ الأمسيةِ
لما أقبلتِ كأنك تجسيدُ أمانيْ
تمشينَ وفي قلبي يلهمُ قميصٌ مبتهجٌ أخضرْ [2]

الآن يقف أمام باب معشوقته متهيباً ليطرق الباب يود أن يظهر أمامها بهيئة لائقة، ولأنه مشحون بالعاطفة عادته الذكريات، فتذكر وجهها ورقتها وابتسامتها وثوبها ومشيتها عندما جاءت مرتدية ذلك الثوب من قبل، وهذه دلالة على أن هذا اللقاء لم يكن الأول بينهما، ثم أن جملة (أمام الباب تهيب) دلالة قريبة حسية هي وصوله لبيتها ودلالة بعيدة معنويه يشير فيها لقلب الفتاة ويهم بطرق الباب حتى تفتح له هذه الفتاة فيصور ذلك المشهد قائلاً:

فنقرْتُ البابَ نقرْتُ البابَ وناديْتُ
وأعدْتُ النقرَ وأصغيْتُ
لاردْ سوى همساتٍ مكتومةْ..
من خَلْفِ رتاجِ البابِ هيَ الصمْتُ

[1] نفسه، ص55
[2] غابة الابنوس - ص55

ومضى الوقتُ

وأنا مازلْتُ أمامَ البابِ الواجمِ مازلْتُ

ردّ ِ يا أختُ ولو بالرفضِ ، ولو في سخريَّة[1]

أتُراني أخطأتُ التقديرَ

أم أنّ ِي يا أُختُ تأخَّرْتُ ؟! [2]

وصل بنا الشاعر إلى نهاية مشهد هذه القصة ونلاحظ أن الشاعر لم يقل طرقت الباب، وا إنما قال نقرت الباب، وفيها دلالة التهيب الذي ذكر، وهو يميل إلى استخدام "الألفاظ الرقيقة...الخافتة الصوت التي تهمس للفؤاد" [3]، ولكنه نقر الباب مرات ومرات ولكنه لم يجد إجابة غير الصمت والوقت يمضي وهو ما زال واقفاً لعله يجد إجابة ولكن امتنعت عن الإجابة ، فهو يريد منها أن تجيبه ولو في سخرية، ثم نراه يتساءل هل اخطأ في تقدير مشاعرها تجاهه أم أنه تأخر عنها ففاز بها آخر؟

وفي قصيدته " لمسه قصصية" [4] تبتعد عن الغنائية فصلاح في شعره " يحاول محاولة صادقة أن يبعد عن الغنائية" إلى حد ما بأسلوبه القصصي المتميز الذي لا يعني مجرد القصة او الحكاية" [5] وهذا اسلوب نجده كثيراً في شعره يعبر عن واقع تجربة صادقة.

ج. قصيدة يد ويد

---

[1]نفسه- ص55، 56

[2]غابة الابنوس- ص55، 56

[3]هدارة_ تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان – مرجع سابق، ص195

[4]نفسه _ ص 434

[5]نفسه_ ص 436، 437

مازلنا نطوف في رحاب الغزل عند شاعرنا صلاح أحمد إبراهيم الذي دائماً ما نجده يعبر عن عاطفة صادقة أنتجتها تجاربه ومواقفه مع هذه القصائد وها نحن نلتقي مجدداً في قصيدة سماها " يد ويد" مستخدماً فيها أسلوب الرمز لتصوير الأشياء يقول:

راحةٌ أمْ غَمامةْ
تلُوحُ بقَوْسِ قُزَحْ [1]
مِنْ بَعيدْ وابْتسامةْ تشعُّ فرحْ
راحةٌ أم يَمامةْ
تُغرِّدُ بِي إذْ تشاءْ
ولمّا تمادى بقلبي الغناءْ
ولم يَحدْ تَملْهُ شَطحْ [2]

يتساءل الشاعر هنا هل القادم من بعيد إنسان، أم غمامة تنساب انسياباً، تتراءى له بألوان الطيف المختلفة ولكنه أكد لنا أن القادم إنسان، للابتسامة والصوت الشبيه بصوت اليمامة فيجعله ينتشي فرحاً ويسبح بخياله بعيداً فيقول:

يدٌ كتَبَتْ لي قصيدْ
أمْ تُرى لسواي غناءُ الكَنارْ
فالمحبَّةُ في زَمَنٍ قلَّ فيه الوَفاءْ
هي أندَرُ مِنْ دُرَّةٍ في بحارْ
(وإنْ كَثُرَتْ في سواحِلها، والقرارْ
قوقعُها والمَحارْ)
إنْ تكُنْ لِيَ حقاً معاني القَصيدْ

---

[1] غابة الأبنوس_ ص81
[2] غابة الأبنوس_ ص81

وَ دّ الملكان معاً :
عاشقٌ ... وسعيدْ ؟
عَجَباً [1]

أشار الشاعر إلى اليد التي كتبت له قصيدة، فهذه القصيدة في موسيقاها وعمقها الوجداني كأنها شدو الكنار، ولكن يسأل محتاراً هل كتبت له أم كُتبت لغيره، إذ فيها عمق محبة قلت في هذا الزمن وفيها من معاني المحبة والوفاء ما أذهله، فهذه الكلمات كالدر النفيس المستخرج من أعماق البحار فإن بها هو فياسعده إنه عاشق وجد السعادة والمحبة، حتى الملكين اللذين علي كتفيه دونا هذه الحالة المتفردة وشهدا عليها، وهو تصوير جميل في ظاهره. وها هو ذا اللقاء قد حان فكان المشهد الذي يصوره بقوله:

ثمَّ كان اللِّقاءْ ..
كان يَوْماً بلا زينَةٍ حاكياً غيرَهُ
وَلكِنْ تَجلّيكِ صَيَّرَهُ يومَ عيدْ
هتَفَ القلبُ : هذا فَنَاري الذي زُورُهُ
ظلَّ يُبْحرُ تلقاءَهُ زَوْرَقي من مَدارٍ بعيدْ
سأَلْقِي المجاديفَ للجَزْرِ أصرخ فيها وقد بَعُدَتْ
أنْتِ يا شَطُّ لِي ، إنّني مُقيمٌ هنا لبقيَّةِ عُمْري
مُسْتَمْتعاً بالهَوى والحَنانْ
في أمانْ [2]

كان اللقاء بينهما وكان اليوم عادياً بغير زينة، ولكن ظهورها جعله يوم عيد، فهتف قلبه: أن هذه هي مَنْ أبحث عنها، والتي طالما سعيت لها وشققت ظلمات بحور حتى أصل إليها فرمز

---

[1] نفسه- ص 82
[2] غابة الابنوس، ص 82، 83

لها بالفنار الذي يهتدي به التائه، ويوحي قوله بأنه خاض تجارب عديدة في حياته حتى تمكن أخيراً من أن يجد المحبة الصادقة، لذا سيحط برحاله عندها ما بقي من عمره يستمتع بهذا الحب والحنان في سلام، ثم يتابع قائلاً:

وأقسمتْ لي: (هو عهدٌ أكيدْ
بيننا سوف نذكره دائماً).[1]
يا ترى هل سيأتي إذنْ، زمانْ
لذاك اللقاء؟ فليس يُنكره إن يكنْ صادقاً
فلقدْ أبصرتْ ذلك اليوم عينُ السماءْ
على كوكب الأرض مولدَ عهدٍ جديدْ[2]

لقد أقسمت له أنها على العهد باقية أبداً _ لما مرّ به_ يتساءل هل سيأتي يوم يتنكر فيه الإنسان لمواثيق الحب؟ وهنا نرى اضطراب نفس الشاعر فهو غير مصدق لما يحدث أمامه ولكنه حقيقة، فيختم قائلاً:

يدٌ في يدٍ، ان
كيدٍ واحدةْ،
يدٌ كلّما لامستْها يدٌ يخفقانْ -
وثب القلبُ في طرب خفقانْ
ثملاً وسعيدْ[3]

لقد صور لنا الشاعر في هذا الجزء من القصيدة صفاء نفسيهما واتفاقهما، مما جعل قلبه سعيدا، لقد قدم الشاعر في هذه القصيدة معاني المحبة الصادقة النادرة في زمانه الذي شاع فيه حب الذات، ويظهر الاضطراب في نفس الشاعر لكثرة ما لاقى في تجاربه.

د. قصيدة أحبك

---

[1] نفسه ، ص 83.

[2] غابة الابنوس- ص83.

[3] نفسه- ص83 ، 84

نختم شعر الغزل عند صلاح بقصيدة (احبك) وهذه القصيدة تفيض محبة وعاطفة جياشة بثها الشاعر من خلال كلمات انتقاها ليعبر بها عن حبه الصادق فقال:

أحبُّكَ حبّاً أذلَّ فوادي وأعمي البَصِيرةْ
يَسْأَلُونَكَ حبّك هيكَ حبَّ الذِيْنِ بصِيرةْ، وأيْدٍ قَصِيرةْ
أحبُّكَ حبَّ المشرَّدِ في حبِّه دونَ مأوي وزادْ [1]
وحبَّ الذي في سبيلِ رسالَتِه قَبِلَ الإضطِهادْ
وحبَّ الذي حرَمتْه المقاديرُ مِنْ كلِّ شيءٍ سواكَ
(أحبُّكَ حبَّيْنِ، حُبَّ الهوى وحُبّاً لأنَّكَ أهلٌ لذاكَ)
وحبّاً لو أنتَ طلَبْتَ عُيُوني اقتلَعْتُهُا ومَشيتُ كفيفاً [2]

أراد الشاعر وصف مدى حبه وخضوعه للمحبوبة وصيرورته طوع هواها، وشبه حاله بالمشرد الذي يأوي للحب، ثم يعدل عنه ليشبه نفسه بمناضل اضطهد وثبت على قضيته؛ لأن الاضطهاد يكشف معادن المناضلين فكلهم قبله صادق وبعده يضعف، فيصور حبه في مرحلة الصدق التام ولايثنيه مثنٍ ، ثم عدل عن تشبيه نفسه بآخرين وأراد أن يثبت استعداده للبذل مهما غلا المبذول فلو طلبت عينيه فلن يتأنى وسيعيش كفيفاً لتثق هي، لأنها سبب سعادته وعشقه " الذي يهيم له الإنسان على وجهه أو يموت كمداً ، و أول ذلك إدخال الضيم واستشعار الذلة" [3] ثم يمضي قائلاً:

أنقِّرُ باسْمِكَ أوتارَ عُودي لأنِّي أحبُّكَ حبّاً عنيفاً
إذا احتَملت بعضَه الرَّاسياتْ
ارتمَتْ جاثِياتْ ،
وحبّاً إذا مسَّ قلبَ الفَيَافي..

---

[1] نفسه- ص93.

[2] غابة الابنوس- ص93.

[3] الجاحظ _ أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب_ رسائل الجاحظ_مطبعة التقدم_ مصر_ط1_د.ت_ ص161

تفجَّرَ بالأنْهُرِ الجارياتْ ،

كما يتَفَجَّرُ قلبي قَوافي.[1]

فهو لشدة حبه لا يفتأ يترنم باسمها؛ معللاً ذلك بشدة حبه لها والتي يصورها تصويراً مادياً يوحي بالكثرة والثقل حتى أنه اذا حط بعضاً من على الجبال لعجزت وجثت على الأرض، وأن هذا الحب لرقته وامتلائه بالعاطفة لو مر على القفار المجدبة لتفجرت فيها الأنهار لأن تلك المشاعر والعواطف تحمل الخير الكثير، فالحب يخرج الخير الكامن في النفس، والشاعر يبدو كأنه يبحث عن كلمات تناسب مقدار حبه، ويستمر قائلاً:

أحبُّكَ حبّاً عظيماً.. أليماً.. مُقيماً.. فَريداً

أعيشُ به طولَ عُمْري سَعيداً

فإنّي الحزينَ الحزينَ إذا ما أحبَّ أحبَّ شديداً

وإن ماتَ مُفْتَرِشاً جَمْرَهُ والجراحاتِ ماتَ شَهيداً [2]

في هذه الأسطر الشعرية عبر الشاعر عن ديمومة حبه مادام، وأنه برغم الحزن الذي يعتريه في حبه عاطفته الصادقة هي سعادته التي يرجوها ولو قتله هذا الحب فهو راضي أن يكون شهيده وقديماً قال جميل بن معمر (جميل بثينة):

لكل حديثٍ بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد[3]

وبين بيتيهما تناص لفظي في استخدام كلمة شهيد بمعناها المعروف لغوياً واصطلاحياً، وإفادة صلاح من جميل في هذا المقام الغزلي؛ وجميل هو الشاعر الذي دخل تاريخ الأدب العربي من بوابة العشق العذري، فيه دلالة عل مصداقية الشاعر المثقف الذي يجيد الإفادة من السابقين.

ويخاطب صلاح أحمد إبراهيم محبوبته قائلاً:

---

[1] غابة الابنوس- ص93

[2] غابة الابنوس- ص93

[3] معمر_ جميل-ديوان جميل بثينة_ دار صادر_ بيروت، لبنان_د.ط_ د.ت_ ص40

غداً ياحبيبتي سنمضي بعيداً

ستَسْلبُ منّا اللّيالي هَوانا، وتتركُ لي من شَذاك القَصيدا

فإمّا عبَرْتَ البحارَ العراضَ وصرْتَ فريدةَ عقدِ اللّذاتِ

بمُهنالكَ تَذَرعٍ لايُوَاتي

َهّيكَ عني الملَهّيكِ مُسْتَدرجاً غَفَلات الصدّبا فيكَ [1]

يُغْريكَ: خُذْ من لذيذ وهات

ستَذَنْتَ لأضْغاث حُلْمَكَ غافٍ، ومُسْتَسْلِماً لسُباتِ [2]

بعد الاعتراف بالحب يخشى الشاعر من فراق محبوبته، وارتحالها إلى حيث لايمكنه أن يصل إليها وينعم بحبها، فلا يبقى له إلا الذكريات، لكنه يخشى أن تتشغل عن حبه وتتساه هي، لكنه يتمنى أن تستسلم لأحلامها به وتفكر فيه، فإن فعلت؛ فسيكون هو في البعد حيث تركته:

يحدّقُ في الأفُقِ المدلَهِمّ وراءَ الدّياجي

يناجي سَناكَ ويسْمو إليكَ قوافٍ قوافْ

يمجّدُ ذاكَ الذي لا يُنالْ

ولا يُمحي أو يُزالْ

ولا يستبدُّ به الإبْتِذالْ [3]

سيكون مفكراً فيها، يراعي حبها ويحفظه، مستعلياً به يصعب علي الأيام من أن تنال منه، ويناجي طيفها كلما لاح. وهي صورة جميلة جسد فيها حالته وهو بعيد عنها ثم يقودنا إلى مرافيء الختام بقوله:

ويرصدُ نجمَكَ حتى المَماتِ

يرددُ اسمَكَ في لهفٍ إبْتِهالْ

حبيبي قُلْ لي متي أنتَ آت

---

[1] غابة الأبنوس، ص 94.

[2] غابة الأبنوس، ص 94.

[3] نفسه، ص 94.

أحبُّكَ حبَّاً يرجُّ كياني ويجتاحُ ذاتي
حَبيبي حَبيبي حَبيبي،تَعال[1]

وهنا يعدها بأن ينتظر أوبتها حتى آخر لحظة في عمره، متسائلاً عن تاريخ الأوبة؛ لأنه يحبها وأصبح أسير حبها، حباً هز كيانه واجتاح كل جوارحه. نراه يردد كلمة حبيبتي دلالة علي لهفته وشوقه وشدة حزنه؛ بسبب افتراقه عنها.

الشاعر في هذه القصيدة صور حبه الدفاق بصورة جميلة قوية، وقد استخدم فيها الشاعر أُسلوباً درامياً استطاع من خلاله أيصال فكرته الدقيقة، مما ميز القصيدة بالوحدة العضوية.

نخلص من هذا أن صلاح أحمد إبراهيم استفاد من خلفيته الثقافية في خدمة شعره، بعيداً عن التقليد.

---

[1]نفسه_ ص 94